الاستنباء وحمية الجاهلية وتهيجهم بغاية العصبية والحمية بما هليه وتنافسهم على المباهاة والمباراة
والوفاق على الاحساب وكون الشطط في هذا الباب فحذروا عن آثروا المفارقة على المعارضة وبذلوا المهج
والارواح دون المنافع فلو قدروا على المعارضة لحاربوا ولو عارضوا لنقل الينا لتوافر الدواعي وعدم
الصارف والعلم بجميع ذلك قطعي كسائر العادات التي تقدم فيها احتمال انهم تركوا المعارضة مع القدرة عليها
او عارضوا ولم ينقل الينا لانه لعدم المبالاة وقلة الالتفات والاشتغال بالمهمات واما المقام الثاني
فالجمهور على ان اعجاز القرآن بكونه في الطبقة العليا من الفصاحة والروم الفصوى من البلاغة على العرف
فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء الفرق منهم في فن البيان واحاطتهم باساليب الكلام بما مر من اشتماله
على الاخبار عن المغيبات الماضية والآتية كما ستذكر وعلى فنائق العلوم الالهية واحوال المبدا
والمعاد ومكارم الاخلاق والارشاد الى فنون الحكم العملية والجلية والمصالح الدينية والدنيوية
على ما يظهر للمتدبر ويخفى على المتفكر وذهب النظام وكثير من المعتزلة والمرتضى من الشيعة
الى انه اعجاز بالصرفة وهي ان الله تعالى صرفهم المتحدين عن معارضته مع قدرتهم عليها وذلك اما بسلب
قدرتهم او سلب دواعيهم او سلب العلوم التي لولاها لامكن الاتيان بمثل القرآن على انا لم نكن حاصلة
لهم او قلبها انها كانت حاصلة وانا الله تعالى ومنعوا المختار عند المرتضى وجمهور انه كان عندهم العلم
بنظم القرآن والعلم بانه كيف تؤلف كلام يساويه او يدانيه والمعتاد ان من كان عنده هذان العلمان
يتمكن من الاتيان بالمثل الا انهم كلما حاولوا ذلك ازال الله تعالى عن قلوبهم تلك العلوم وفيه نظر واحتجوا اولا بانا
نقطع بان فصحاء العرب كانوا قادرين على النظم مثل هذه السورة ومركبا من الفصيح مثل الحمد لله
رب العالمين وهكذا الى آخر فيكونون قادرين على الاتيان بمثل السورة وثانيا بان الصحابة
عند جمع القرآن كانوا يتوقفون في بعض السور ولا يبالون بشهادة الثقات وابن مسعود
قد يمنع من قراءة الفاتحة والمعوذتين ولو كان نظم القرآن معجزا لفصاحته لكان كافيا في الثبات
واجيب عن الاول بان حكم الجملة قد يخالف حكم الاجزاء وهذا بعينه متهيئة من نفي تجسيم الاجماع والخبر
المتواتر ولو صح ما ذكر لكان كل من احاد العرب قادرا على الاتيان بمثل فصاحة فصحائهم
كامرئ القيس واضرابه واللازم قطعي البطلان وعن الثاني بعد صحة الرواية ولكن لعله بعد
الذي لان زمانه ولكن كل سورة مستقلة بالاعجاز اذ ذلك كان للاحتياط والاحتراز عن ادنى
تغيير لا يخل بالاعجاز وان اعجاز كل سورة ليس بما يظهر لكل احد بحيث لا يقول له نردد اصله وقيل

فعجزوا صح

بعلون ويعقلون صح

قطعية صح

حزبه صح

ويرتضون صح

اعجاز بنظم الغريب المخالف لما عليه كلام العرب في الخطب والرسائل والاشعار وقيل بسلامته
عن الاختلاف والتناقض وقيل باشتماله على دقائق العلوم وحقائق الحكم والمعارف وقيل
باخباره عن المغيبات وروي ان خالد بن سنان وعد مجيء مجدد الصابئة في ذلك الزمان كثيرا ما
يسمع كلام البلغاء عن الاختلاف والتناقض وتشتمل كلامه على الكلام على العلوم في الحقائق والاخبار
عن المغيبات لانه صدر الاول في قليل من الآيات وقد قيل لا نظر فيه ولا يبعد كون الاعجاز بنظم الكلام ونظمه
بل نفس النظم يجعله من مبين متقابلين ويحمل كون الاعجاز بالامر جميعا من مباينا لما نسب الى القاضي
على ما قال الامام الحرمين ان وجه الاعجاز عندنا هو اجتماع الجزالة مع السلوب والنظم المخالف
لاساليب كلام العرب من غير استنكاف الى حد يمنعها ان يعارض ان بعض الخطب والاشعار من كلام
اعاظم البلغاء ولا يحط عن جزالة القرآن الخطاب بينا فاطعا للاوهام ورما يقدر نظم
ركيك تضاهي نظم القرآن على ما روي من ثلاث مسيلمة الكذاب الفيل وما ادريك ما الفيل
وما ادريك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل فلذلك كون الاعجاز بالنظم الغريب مع الجزالة اعز
البلاغة ومن التعبير عن معنى بعبارة يلتطف بشرف وان مبنى على المخصوص من غير تزيد في قوى القرآن
سوى النظم والبلاغة وجهان آخران من الاعجاز من الاخبار عن قصص الاولين من غير سماع
وتلقف من الاخبار عن المغيبات المستقبلة منكرة مثل الم فلبث امنع الاول ان نظم القرآن
وتركيبه يخالف المعتاد من اساليب كلام العرب اذ لم يعهد فيه كون المقاطع على حرف يعلو المعلوف
والمطالع على سين يا ايها الذين ويا ايها المزمل والمدثر وعم يتساءلون وامثال ذلك ومنع
الثاني ان نظم بالغ في الفصاحة والطاقة بلغت الى حد الاعجاز وخرج عن طوق البشر وكان منع
النظم على الاول تزيد الكلمات وضم بعضها الى البعض وعلى الثاني جمعها مترتبة المعاني متناسقة
الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل على ما قال الشيخ عبد القاهر ان النظم سوق المعاني
الصحيحة مرتبة الكلم على حسب الاغراض التي تصاغ لها الكلام ولذا الكلام وزيادة بيان اورده
في بعض كتبه في فن البيان وقد يستدل على بطلان الصرفة بوجوه الاول ان فصحاء العرب انما
كانوا يتحدون بحسن نظمه وبلاغته وسلامته عن جزالة وتعقيد وتوهم عند سماع قوله تعالى
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الآية اذ ذلك لعدم تاتي المعارضة مع سهولتها وتيسرها اكثر انه لو قصد
الاعجاز بالصرفة لكان الانسب تنكيله عنها وسلبه عنه وعلة طبعه لانه كلما كان انزل عن البلاغة
وادخل في الركاكة كان عدم تيسر المعارضة ابلغ في خرق العادة الثالث قوله تعالى قل لئن اجتمعت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)